﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠﴾ [الحجر: 20]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الأرضُ موضعُ مَعايِشِ النّاسِ ورِزقِهم فيها

لمّا أخبرَ اللّه تعالى أنَّه يعلمُ المقدارَ الذي يحتاجُ إليه النّاسُ وينتفِعون منه، فيُنبتُ اللّه تعالى ذلك المقدارَ أتْبعَه بقوله ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾؛ لأنَّ ذلك الرِّزْقَ الَّذي يَظْهَرُ بِالنَّباتِ يَكونُ مَعيشَةً لَهُم[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَعَايِشَ﴾: (عيش): أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على حَياةٍ وبَقاءٍ، قال الخليلُ: العَيْشُ: الحَياةُ. والمَعيشَةُ: التي يَعيشُ بِها الإنسانُ: من مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ وما تَكونُ بِهِ الحَياةُ. والمَعيشَةُ والمَعيشُ: اسْمٌ لِما يُعاشُ به[2]. والمَعاشُ يَجْري مَجْرَى العَيْشِ. تَقولُ عاشَ يَعيشُ عَيْشًا ومَعاشًا. وكُلُّ شَيْءٍ يُعاشُ بِهِ أَوْ فيهِ فَهو مُعاشٌ[3]. والمعايشُ في الآية: جَمْعُ مَعيشَةٍ، وهي ما يَعيشُ به الحَيُّ من مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ وما تَكونُ بِهِ الحَياةُ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

الكائناتُ كلُّها يَرزقُها الله ﷻ ويُقدِّرُ لها أقواتَها

يقولُ الحقُّ تعالى: وهيَّأْنا لكم في الأرضِ أيُّها النّاسُ ما تعيشونَ به مِنَ المطاعِمِ والمَشارِبِ، ويسَّرْنا لكم أنواعَ المكاسِبِ، وجَعَلْنا لكمُ الأولادَ والعَبيدَ والدَّوابَّ والأنعامَ الَّتي نَرزُقُها نحنُ لا أنتم[4].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/131.
(2) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عيش).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عيش).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 14/37، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7/167، و10/13، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/529.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ التّعبيرِ بالآية:

الاستدلالُ بخلْقِ المعايشِ على كمالِ القُدرةِ وبَديعِ الحِكْمةِ وتفرُّدِ الألوهيّةِ

فَذَلكَةُ الآيةِ أنّه لمّا ذكرَ اللّه تعالى أنَّه جعَلَ الأرضَ مَمدودةً بمقدارٍ وشكْلٍ معيَّنَيْن، مُختلفةَ الأجزاءِ في الوضْعِ مُحدِثًا فيها أنواعَ النّباتِ والحيوانِ المختلفةِ خِلْقَةً وطبيعةً، مع جوازِ ألّا تكونَ كذلك كان الكلامُ على طريقِ الاستدلالِ على كمالِ قُدرتِه وتناهي حِكْمتِه، والتّفرُّدِ في الأُلوهيَّةِ والامتنانِ على العبادِ بما أنعمَ عليهم في ذلك؛ ليوحِّدوه ويَعبدوه[1].

نُكتةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

إبداعُ الله تعالى في إنشاءِ أنواعِ المَعايشِ للنّاسِ

عُبِّرَ بالفعْلِ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ للإيذانِ بإبداعِه تعالى في إنشاءِ أنواعِ المعايشِ التي تفيدُ النّاسَ في حياتِهم.

دَلالةُ اللّامِ في قولِه ﴿لَكُمْ﴾:

التّذكيرُ بنعمةِ الله على الخلْقِ بإيجادِ المَعايشِ لأجْلِهم

أفادتِ اللّامُ الاختصاصَ، بمعنى: جعَلْنا في الأرضِ مَعايشَ خاصَّةً لكم، أي: قد أوجدَها اللّه تعالى لأجْلِكم، ففيه تذكيرٌ بنعمتِه سُبحانه على جميعِ الخلْقِ.

فائدةُ تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾:

تقريرُ اختصاصِ المَعايشِ بالخلْقِ زيادةً في مِنَّةِ الله وفضْلِه

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ به التّأكيدَ والقصْرَ الإضافيَّ؛ ليُفيدَ تقريرَ اختصاصِ المَعايشِ لهم، زيادةً في مِنَّةِ اللّه وفضْلِه عليهم.

دَلالةُ الضّميرِ في قولِه ﴿فِيهَا﴾:

كثرةُ المَعاني بالألفاظِ القليلةِ

يحتملُ أن يعودَ الضّميرُ على الأرضِ وحدَها، وأن يعودَ على الأرضِ ورواسيها؛ وهو الظّاهرُ، ليكونَ من عطْفِ الضّميرِ على الاسْمِ الظّاهرِ بما اتّصفَ به، فإنَّ إلقاءَ الرّواسي في الأرضِ بمثابةِ

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/209.

وصْفٍ لها، كما أنَّ المعايشَ موجودةٌ في الأرضِ والجبالِ، كما هو الواقعُ[1]، أي: وجعلْنا لكم في الأرضِ وفي الجبالِ الرّواسي معايشَ تكثيرًا للنِّعم، ويحتملُ أن يعودَ على الجبالِ الرّواسي وحدَها، وتكونُ الدّلالةُ على جعْلِ المعايشِ في الأرض من بابٍ أولَى.

فائدةُ تقديمِ ﴿فِيهَا﴾:

من سوءِ الظّنِّ بالله أن يَعتقدَ الإنسانُ أنَّ أرزاقَ الأرضِ لن تَكفيَ النّاسَ

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ الحصْرَ، فإمّا أن يكونَ منَ الحصْرِ الحقيقيّ؛ ليُفيدَ أنَّ معايشَ الخلْقِ على المجموعِ لا تكونُ في غيرِ الأرضِ التي يعيشُ النّاسُ عليها، وإمّا أن يكونَ منَ الحصْرِ الإضافيّ؛ ليفيدَ أنَّ المعايشَ لا تكونُ في غير الأرض باعتبارِ معيشتِكم فيها، كما أفاد التّقديمُ تأكيدَ جعْلِ اللهِ تعالى المَعايشَ في الأرضِ، وتدخلُ الجبالُ في الأرضِ كما تقدَّمَ.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾:

طلبُ أسبابِ الرِّزقِ منَ المعايِشِ التي أنعمَ الله بها على النّاسِ

أفادَ التّعبيرُ بصيغةِ الجمْعِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ العُمومَ؛ لورودِ اللّفظِ نَكرةً في سياقِ الامتنانِ، ويفيدُ مع العموم التَّنَوُّعَ والتَّغايُرَ، ولَمّا كان لفظُ العيشِ يعمُّ المأكولَ الذي يُعاشُ به والتّحرُّفَ الذي يُؤدّي إليه كان المُرادُ من لفْظِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ الذي جاء بِصيغةِ مُنتهى الجُموعِ كلَّ ما يعيشُ به الإنسانُ في هذه الأرضِ ممّا يتعلَّقُ به البقاءُ وما يكونُ به الحياةُ، فالمعيشةُ أخصُّ منَ الحياة، فيدخلُ في اللّفظ المطاعمُ والمشاربُ والملابسُ، وكلُّ ما يتحقّقُ به العيشُ وما يكونُ سببًا له، ومنه طلبُ أسبابِ الرّزقِ بالكسبِ والتَّصرُّفِ من حِرفةٍ أو زراعةٍ أو تجارةٍ أو أيِّ عملٍ[2].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/430.

(2) الماوردي، النكت والعيون: 3/154، والواحدي، التفسير البسيط: 9/29، والزمخشري، الكشاف: 2/89، وابن عطية، المحرّر الوجيز: 2/377.

نِعَمُ الله كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ، فلا تَنْتهي أفْضالُه 

دَلالةُ العطْفِ في ﴿وَمَن لَّسۡتُمۡ﴾:

يحتملُ أن تكونَ الواوُ قد عطفتِ الاسْمَ الموصولَ ﴿وَمَن﴾ على ﴿مَعَٰيِشَ﴾، والتّقديرُ: جعلْنا لكم فيها مَنْ لسْتُم له برازقين منَ العيالِ والخَدَمِ والدّوابِّ وما أشبهَها، وهذا التّقديرُ هو الظّاهرُ، وعليه جمهورُ المُفسّرين، ويحتملُ أن يكونَ الاسْمُ الموصولُ منصوبًا بالعطفِ على محلِّ ﴿لَكُمۡ﴾، والتّقديرُ: جعَلْنا لكم معايشَ ولمن لسْتُم له برازقين، فيكونُ المرادُ من ﴿وَمَن﴾ الدّوابَّ والوحوشَ أي غيرَ العاقلِ، وهذا التَّقديرُ نقلَه بعضُ المُفسّرين(1)، ولا مانعَ من إرادةِ المعنَيَيْن معًا، فالقرآنُ حمّالُ وُجوهٍ.

الإيـذانُ بتَمامِ نِعمةِ الله على النّاسِ إذ جعَلَ لهم المعايش في الأرضِ

فائدةُ التّعبير بـ﴿وَمَن﴾:

لمّا كان (مَنْ) يأتي للعاقلِ، وكان المرادُ منَ الاسْمِ الموصولِ ﴿وَمَن﴾ العيالَ والخدمَ والدَّوابَّ والأنعامَ وما أشْبهَها كما هو الظّاهرُ، كان دخولُ غيرِ العاقلِ في معنى (مَنْ) دالًّا على أنَّها جاءت على طريقةِ تغليبِ العاقلِ على غيره، لفضيلةِ العقلِ والتّمْييزِ، وسببُ العطْفِ هو لِردِّ حُسبانِهم أنَّهم يَكفون مؤونتَهم، أي قد كفاكُم اللّهُ مؤونةَ أرزاقِها، ولِتحقيقِ أنَّ اللّه تعالى هو الذي يَرزقُهم وإيّاكم، وللإشعارِ بتَمامِ نعمةِ اللّه على النّاس؛ إذ جعلَ لهم في هذه الأرضِ العيالَ والخدمَ والأنعامَ وغيرَها، وعلى القولِ بأنَّ (مَنْ) لغيرِ العاقلِ فنُكتةُ التّعبيرِ به هو أنَّه لما وُصِفتِ الوحوشُ وغيرُها بالمعاشِ الذي الغالِبُ عليه أن يوصَفَ به النّاسُ - إذ يقالُ: الآدميُّ يتعيّشُ، ولا يقال: الفرسُ يتعيّشُ - جرتِ الوحوشُ والدّوابُّ مَجرى العقلاءِ في التّسميةِ، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: 18](2).

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/82، والزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/177.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 12/573، وابن الجوزي، زاد المسير: 2/528، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/71، والبروسوي، روح البيان: 4/452.

الرّزقُ لا يكونُ إلّا من الخالق 

فائدةُ تقديمِ (له): ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾:

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ على مُتعلَّقِه التّخصيصَ الإضافيَّ، بمعنى إذا كان النّاسُ لا يَقْدرون على رزقِ المَذكورين فلا رازقَ لهم إلّا ربُّهم سُبحانَه، كما أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ تأكيدَ نفْيِ قُدرتِهم على رزقِ المَذكورين، ولمّا كان الضّميرُ في ﴿لَهُۥ﴾ عائدًا على الاسْمِ الموصولِ ﴿وَمَن﴾ الدّالِّ على العموم أفادَ عمومَ الضّميرِ، والمعنى ومن لسْتُم برازقين لكلِّ مَن لا قُدرةَ لكم على رزْقِه.

استمرارُ نفْيِ قُدرةِ النّاسِ على رزْقِ المَخلوقين

سببُ إيثارِ النّفْيِ ﴿لَّسْتُمْ﴾:

أفادَ النّفيُ بـ(ليسَ) استمرارَ نفَيِ رزقِهم لِما يتضمَّنُه لفظُ العمومِ ﴿وَمَن﴾، لتفيدَ (ليس) نفْيَ الماضي والحالِ واستمرارَ النّفْيِ في المستقبل من غيرِ انقطاعٍ[1].

تَيسيرُ أسبابِ الرّزقِ منَ الرَّزّاقِ

دَلالةُ الخبرِ في ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾:

دلَّ الخبرُ على فائدتِه، وهي نفيُ أن يكونوا همُ الرّازقين خلْقًا أو سببًا، ليكونَ ردًّا على خطأ حُسبانِهم في أن يكونوا همُ الرّازقين بتَيْسيرِ أسبابِ العمَلِ والمكاسبِ، ودلَّ بِلازمِه على أنّ اللّه هو الرّازقُ على الحقيقةِ، فهو تعالى يَرزقُهم وإيّاهم.

تأكيدُ نفْيِ قُدرةِ النّاسِ على الرّزقِ في أيِّ حالٍ منَ الأحوالِ

فائدةُ الباءِ في قولِه ﴿بِرَٰزِقِينَ﴾:

أفادتِ الباءُ المُبالغةَ في التّنصيصِ على نفْيِ العُمومِ والمُبالغةِ في نفْيِه، أوِ الاحتراسِ من إرادة التّخصيصِ بحالٍ منَ الأحوال، بمعنى تأكيدِ نفْيِ قُدرتكم على رِزْقِهم في أيِّ حالٍ منَ الأحوالِ.

اللهُ تعالى خالقُ الرّزقَ وأسبابَه

دَلالةُ لفظِ ﴿بِرَٰزِقِينَ﴾:

دلَّ التّعبيرُ بصيغةِ اسْمِ الفاعلِ على أنَّ المرادَ لسْتُم برازقين له حقيقةً ولسْتُم بسببٍ له، ولا مَدْخلَ لكم فيه، وإنْ كنتم أقوياءَ

(1) السامرائي، معاني النحو: 4/190.

مُجتمِعين؛ لِيفيدَ النّفيُ رفعَ توهُّمِ أن يكونَ لهم أيُّ سببٍ في الرّزق أو في إثباتِه لهم، فالرّازقُ على الحقيقةِ بالخلْقِ والعطاءِ وتَيْسيرِ السّببِ للوُصولِ إلى الرّزقِ هو اللّه تعالى بعظيمِ خلْقِه وبديعِ إنشائِه[1].

۞ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المَعيشةُ والحياةُ:

المَعيشةُ أخصُّ مِنَ الحياةِ، وهي اسْمٌ لأسْبابِها

العيشُ اسمٌ لِما هو سببُ الحياة منَ الأكل والشّربِ وما بِسبيلِ ذلك، والشّاهدُ قولُهم (مَعيشةُ فلانٍ من كذا) يَعنون مأكلَه ومَشربَه ممّا هو سببٌ لبقاءِ حياتِه، ولَمّا كانتِ المَعيشةُ منَ العيش لِما تكونُ به الحياةُ والبقاءُ منَ الطّعامِ والشّرابِ والمَلبسِ وغيرِها، فتكونُ المعيشةُ خاصَّةً بالحيوانِ كانتِ المعيشةُ أخصَّ منَ الحياة؛ لأنّ الحياةَ تقالُ في الحيوان، وفي الباري ﷻ، وأمّا المعيشةُ فلا يوصَفُ بها اللّه تعالى؛ لأنّ فيها معنى العجْزِ والاحتياجِ، والمَعيشةُ اسمٌ لِما يُتَعَيَّشُ منه[2].

---

(1) الراغب، المفردات: (رزق).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 102، والراغب، المفردات: (عيش)، والكفويّ، الكلّيات، ص: 651.